حادثة سجود المشركين مع المسلمين في ضوء سورة النجم

دراسة وتحليل

The Incidence of the Prostration of Polytheists with Muslims in the Light of Surah Al.Najam: An Analytical Study

د/ظهير الدين بهرام

الأستاذ المساعد بأكاديمية الدعوة،الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

Zaheer.bahram@iiui.edu.pk

د/سميع الحق الأستاذ

بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

ABSTRACT

An incident is narrated in a Hadith that Mushrikeen (the Polytheists) of Makkah joined the Muslims in Sajdah (prostration) after hearing the Quranic verses of Surah (chapter) al-Najm. In some narrations speculations have been made that recitation of a verse by the Prophet Muhammad (May peace and mercy of Allah be upon him) containing praise to the idols of the polytheists has been heard in this occasion. This is known as story of al-Gharaneeq.

There is difference of opinion among Muslim scholars about the story of Al-Gharaneeq.

Majority of the scholars reject the story absolutely and consider it as an attempt of mischief and creating doubt about authenticity of Quran and revelation upon the prophet Muhammad (May peace and mercy of Allah be upon him). According to their views there are a number of contradictions and other problems in narration of the Hadith, beside the fact that none of the authentic books of Hadith including Hishah Sittah narrated the story of al-Gharaneeq. Moreover the story contradicts with overall teachings of Quran and Sunnah and unacceptable according to text and context of Ayah (verse).

Some scholars accept the story of prostration of polytheists with Muslims and give different justifications for that, but they absolutely deny the story of al-Gharaneeq (praise to idols of the polytheists).

Few scholars accept the story of al-Gharaneeq, with lots of explanations and clarifications to deny the concept of praising the idols by the prophet Muhammad (May peace and mercy of Allah be upon him).

The Exegesis who explain the Quran in Urdu language follow the major scholars the rejection of this story.

All narrations and views of the scholars in this connection have been discussed and analyzed in this article.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، والذي نزله الله تعالى ذكرا وأنه تعالى له لحافظون، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمدٍ الذي لا يأتيه الشيطان إلا مسلماً له، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وعلى آله وأصحابه الذين أفنوا أعمارهم في حفظ كتاب الله تعالى والمحافظة عليه تعليماً وتعلماً ودفاعاً عنه حق الدفاع، أما بعد:

فإننا نريد أن نتعرض في هذه المقالة الصغيرة للتعريف بقصة الغرانيق، وآراء العلماء فيها إجمالا، ثم نأتي إلى صلب الموضوع و"هو أسباب سجود المشركين مع المسلمين" وقت سجود النبي صلى الله عليه وسلم في آخر سورة النجم.

التعريف بقصة الغرانيق[1]:

والمراد بقصة الغرانيق قول بعض الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ سورة وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ[2]بمحضر من المشركين والمسلمين فلما بلغ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ۔وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ[3] ألقى الشيطان على لسانه صلى الله عليه وسلم: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح بذلك المشركون، ولما إنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السورة، سجد وسجد معه المشركون وغيرهم من الحاضرين[4]

ويقول الشيخ السيد معين الدين: إن قصة الغرانيق هي أنه عليه الصلوة والسلام تمنى أن يأتيه من ربه ما يقرب بينه وبين قومه رجاء أن يسلموا فكان يوما في محضر قريش إذا نزل عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ [5]ألقى الشيطان في قراءته فسبق لسانه سهواً أو تكلم الشيطان فحُسب أن القارئ رسول الله أو نام نومة فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى وأن شفاعته لترتجى فلما وصل قراءته إلى آية السجدة سجد فسجد من في النادي من المسلم والمشرك وفرح المشركين فأتاه جبرئيل وقال ما ذا صنعت لقد تلوت ما لم أتله به عن الله تعالى، فحزن حزناً وخاف خوفاً فعزّاه الله تعالى بتلك الآية يعني ما أنت باوحد بهذا، بل مكنا الشيطان ليلقى في أمانيهم كما ألقى في أمانيك ابتلاء منا ليزيد المنافقون شكاً وظلمةً والمؤمنون يقيناً ونوراً[6]

إن روايات قصة الغرانيق وردت بألفاظ متعددة ومختلفة وبأسناد متعددة ويوجد الإضطراب الفاحش في هذه الروايات المتعددة وتختلف كل رواية عن الأخرى تقريباً. والألفاظ التي وردت في تعريف الأصنام يصل عددها إلى خمس عشرة عبارة، وكل عبارة تختلف عن الأخرى، والإختلاف الثاني فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم متى قالها أو في أي حالة قالها، هل هو قالها أو ألقى الشيطان في كلامه، هل قالها عمداً أو نسياناً أو سهواً أو في حالة النوم أو قالها إستفهاما إنكاريا؟ ولا يوجد في إسناد هذه الرويات إلا صحابي واحد وهو إبن عباس رضي الله عنهما[7]

آراء العلماء في قصة الغرانيق

إختلف العلماء في قصة الغرانيق إلى ثلاثة أراء:

الرأي الأول:

أن هذه القصة باطلة رواية ودراية وأنها من وضع الزنادقة، وأنها لا أصل لها وأن رواتها مطعون فيها، ولم تنقل في كتب الأحاديث الصحيحة والمعتمدة وهي مردودة عند المحققين. الطرق التي جاءت من طريقها كلها مرسلات ومنقطعات غير متصلة ومثل هذه الرواية تفتح باب الطعن والشك وتكون سلاحاً في يد أعداء الأديان كلها - وأن هذه الرواية موضوعة باطلة وأُحتج عليه بالقرآن والسنة والمعقول- والحاصل أن هذه القصة موضوعة مكذوبة وصفها الزنادقة وأعداء الدين والرسول،صلى الله عليه وسلم ويدل على ضعفها إضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها،ورواه المفسرون عن إبن عباس من طريق الكلبي وهو في غاية الضعف بل هو متروك وأنها غير ثابتة عند جمهور المحدثين، وأن تفسير الآية: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [8]غير موقوف على هذه القصة[9]

يقول بدر الدين العيني: هذا الحديث روي بطرق متعددة كلها بنقطة معلولة، ولم يوجد لها إسناد متصل ولا صحيح[10]

ذهب إلى هذا الرأي الجمهور من العلماء من إبن كثير والبيهقي، وإبن خزيمة، والقاضي أبوبكر بن العربي، والقاضي عياض،والنووي، والإمام الرازي،والقرطبي،وبدر الدين العيني،والشوكاني، والآلوسي، والملا على القاري، والجمل،وأبو السعود وغيرهم[11]

وذهب إلى هذا القول المفسرون الذين فسروا القرآن بالأردية منهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي، والمفتي محمد شفيع العثماني، والأستاذ عبد الماجد دريا آبادي، والأستاذ أمين أحسن إصلاحي، والمرشد كرم شاه الأزهري، والشيخ شبير أحمد العثماني، والشيخ صديق حسن خان، والشيخ سيد أمير على وغيرهم[12]

الرأي الثاني:

أن روايات قصة الغرانيق يحتج بها وأن آحادها وإن كانت ضعيفة لكن ورودها بطرق متعددة يجعلها قابلة للإحتجاج بها.

ذهب إلى هذا الرأي جماعة صغيرة أو نقول شرزمة قليلة، فهم الإمام المفسر إبن جرير الطبري، والمحدث الحافظ إبن حجر العسقلاني، والإمام جلال الدين المحلي، والإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، والعلامة جار الله الزمخشري، والإمام أبوبكر الجصاص، والشيخ إبراهيم الكوراني ثم المدني خاتمة المتأخرين، والإمام البغوي، والإمام أبي المعالي[13]

والرأي الثالث:

فيه تفصيل، يقول بالمنع والتسليم، لايرفض الحديث مطلقاً ولا يسلم بالقصة مطلقاً، بل يقول أصحاب هذا الرأي:

أولاً: أنهم لايقبلون هذه القصة لأن الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقّفون من الصحف كل صحيح وسقيم.

ثانياً: أنهم يقولون لو سلمنا هذا الحديث أو لَو صح، لترجح تأويله، فيقولون في تأويله، إن النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن ترتيلا، فترصد الشيطان لتلك الكتات ودسه فيها ما اختلفه من تلك الكلمات، محاكيا نعمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها.

ذهب إلى الرأي القاضي وغيره, ويوهم تأويل هؤلاء العلماء الحديث أنهم يذهبون إلى هذا الرأي، وإن كانت صريح عباراته تدل على المنع – قال بهذا القاضي عياض والإمام القرطبي لأنه أيضاً يرجح هذا التأويل السابق، يقول القاضي عياض: وهذا أحسن الوجوه. وهو الذي يظهر ترجيحه ويؤيده ما روى عن إبن عباس رضي الله عنهما في تفسير "تمنى" بتلا وكذا إستحسن إبن العربي هذا التأويل وقال: معنى قوله في "أمنيه" أي في تلاوته[14]

ويفهم من عبارات بعض العلماء أن إبن حجر العسقلاني رحمه الله يقول بهذا الرأي حيث يقول الشيخ محمد أحمد كنعان في "قرة العينين" وقال إبن حجر: وإذا سلمنا أن لها أصلاً وجب تأويلها الخ ولكن إثبات هذا القول صعبٌ[15]

يعرف بعد تتبع أقوال العلماء في سجود المشركين الأسباب الآتية:

1 يقول القاضي عياض رحمه الله: وكان سبب سجودهم فيما قال إبن مسعود رضي الله عنه: أنها أول سجدة نزلت[16]

2 يقول بدر الدين العيني: ويزيد على السبب الأول ناقلاً لقول الكرماني, حيث قال الكرماني: سجد المشركون لأنها أول سجدة نزلت فأرادوا معارضة المسلمين بالسجدة لمعبودهم.

3 أنهم خافوا في ذلك المجلس من مخالفة المسلمين.

4 أو وقع ذلك من المشركين بلا قصد[17]

وفي الإحتمالات الثلاثة نظر

لأن القول الأول للقاضي عياض وليس للكرماني والثاني أبعد، إذ المسلمون حينئذ هم الذين كانوا خائفين من المشركين لا العكس، والثالث يخالف سياق إبن مسعود رضي الله عنه حيث زاد فيه أن الذي إستثناه منهم أخذ كفا من حصا فوضع جبهته عليه، فإن ذلك ظاهر في القصد[18]

إختلاف الأقوال في إسم هذا الرجل الذي لم يسجد

إختلف الأقوال في إسم هذا الرجل المشرك الذي لم يسجد بل أخذ كفا من تراب أو حصا فقال يكفيني هذا.

قيل: أن هذا الشيخ هو أمية بن خلف وقد قتل يوم بدر ولم يكن أسلم قط[19]

وقيل:أنه المطلب، روى عن إبن عباس رضي الله عنهما قال سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.إنفرد به البخاري دون مسلم. عن جعفر بن المطلب عن أبيه ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرؤها إلا سجد معه رواه أحمد[20]فرفعه إلى جبهته وكان شيخاً كبيراً.

وقيل:أنه أبو أحَيحَة سعيد بن العاص فإنه أخذ حفنة من التراب من البطحاء ورفعها إلى جبهته وسجد عليها لأنه كان شيخاً كبيراً[21]

5 أنهم سجدوا لدهشة أصابتهم عند السماع السورة لما فيها من وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ.وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ.وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ.الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ.فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ[22] إلى آخر الآيات، فاستشهدوا نزول مثل ذلك بهم، ولعلهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها من صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بين يدي ربه تعالى في مقام خطير وجمع كثير. وقد ظنوا من ترتيب الأمر بالسجود على ما تقدم أن سجودهم كاف في دفع ما توهموه ولو لم يكن عن إيمان.ولا تستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه صلى الله عليه وسلم، فقد نزلت سورة حم السجدة بعد ذلك كما جاء مصرحاً به في حديث عن إبن عباس رضي الله عنهما ذكره السيوطي في أول الإتقان, فلما سمع عتبة بن ربيعة فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ [23]أمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم واعتذر لقومه حين ظنوا به أنه صبأ قال كيف وقد علمتم أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقد أخرج ذلك البيهقي في الدلائل وإبن عساكر في حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[24]

وهذا شعور رجل لم يكن قد أسلم والإتجاف فيه ظاهر والتأثر المكبوت أمام العناد والمكابرة ظاهر.ومثل هؤلاء إذا استمعوا إلى سورة النجم من محمد صلى الله عليه وسلم فأقرب ما يحتمل أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التي لا يملكون أنفسهم إزاءها وأن يؤخذوا بسلطان هذا القرآن فيسجدوا مع الساجدين بلا غرنيق ولا غيرها من روايات المفترين[25]

والحادث الثاني أيضا يدل على أن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعشة والرجفة وهم يستمعون إلى محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان العناد المصطنع هذا الذي يحول بينهم وبين الإذعان وهو أن إبن عساكر يروي في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الأسود، قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهّزوا إلى الشام فتجهزّت معهما فقال إبنه عتبة والله لا نطلقن إلى محمد ولأوزينه في ربه تعالى، فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذي ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ.فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ[26] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك، ثم انصرف عنه،فرجع إلى أبيه فقال يا بُني ما قلت له؟ فذكر ما قاله، فقال ما قال لك؟ قال اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك، قال والله يا بُني والله ما آمن عليك دعاءه، فسرنا حتى نزلنا أبراه – وهي

في سدة،ونزلنا صومعة راهب،فقال الراهب:يامعشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنها يسرح فيها الأسد كما سرح الغنم، فقال أبولهب: إنكم قد عرفتم كِبر سنّي وحقّي، وإن هذا الرجل قد دعا على إبني دعوة فالله ما أمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصَومَعة، إفرشوا لإبني عليها ثم أفرشوا حولها ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب ثبة فوق المتاع فشم وجهه، ثم هزم هزمة ففسخ رأسه فقال أبولهب، قد عرفتُ أنه لا ينفلت عن دعوة محمد هذا هو الحارث صاحبه أبو لهب اشد المخاصمين لمحمد صلى الله عليه وسلم المدعو عليه وعلى زوجته في القرآن الكريم، وذلل شعوره الحقيقي تجاه محمد وقول محمد، وتلك إرتجافة قلبه ومفاصله أمام دعوة محمد صلى الله عليه وسلم[27]

6 أن الذي كان يقرأ السورة كان محمد صلى الله عليه وسلم الذي تلقى هذا القرآن مباشرة من مصدره, وكان لا من تأثيره عليهم, لأن سبب السجود كان كامناً في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذا السورة التي كانت تخرج من فم الرسول المبارك۔ فكان وقوعهم في السجدة أمراً طبيعياً۔لهذا السبب أي لتأثير كلامه تعالى[28]

7 إذ أن يقال على بعد،أن سجودهم كان لإستشعار مدح آلهتهم ولا يلزم منه ثبوت ذلك الخبر لجواز أن يكون ذلك الإستشعار من أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ۔وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ[29]۔بناءً على أن المفعول محذوف وقدروه حسبما يشتهون أو على أن المفعول أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ[30] وتوهموا أن مصب الإنكار فيه كون المذكورات إناثاً والحب للشئ يُعمي ويُصم، وليس هذا بأبعد من حملهم تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى على المدح حتى سجدوا لذلك آخر السورة مع وقوعه بين ذمين المانع من حمله على المدح في البين كما لا يخفى على من سلمت عينَ قلبه عن العين[31]

8 يقول الأستاذ المودودي سجدوا الروعة بيان القرآن, وتأثيره الشديد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حينما تلا القرآن وقع فيهم الوجد والتأثر، فسجدوا مع الآخرين، وهذا ليس ببعيد لأن للنبي صلى الله عليه وسلم كان تأثيراً حتى كانوا يقولون في حقه عليه الصلوة والسلام بأنه ساح، ثم ندموا على ما فعلوا، وبدءوا يؤلون ما فعلوا نادمين[32]

9 أن الإمام الطيبي قال: لعله صلى الله عليه وسلم سجد هذه السجدة لما وصفه الله تعالى في مفتتح السورة من أنه لا ينطق عن الهوى، وذكر شأن قربه من الله تعالى وأراه من آيات ربه الكبرى، وأنه "ما زاغ البصر وما طغى" شكر الله تعالى على تلك النعمة العظمى، والمشركون لما سمعوا أسماء طواغيتهم اللات والعزى سجدوا معه، وأما ما يروي أنهم سجدوا لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم أباطيلهم فقول باطل من مخترعات الزنادقة.

يرد على هذا السبب, أن تعليله السجدة بما ذكر غير صحيح فإن سجدته سجدة تلاوته لا سجدة شكر بلا خلاف[33]

10 أن سجود المسلمين كان إتباعاً لأمر الله، وأما سجود المشركين فلما سمعوه من أسرار البلاغة الفائقة وعيون الكلم الجوامع مع التهديد والإنذار، وقد كان العربي يسمع القرآن، فيخِرّ له ساجداً[34]

يرد اعتراض على هذا السبب

لما سجد المشركون بسبب تأثرهم ببلاغة القرآن فلما لم يسجد أمية بن خلف وغيرهم؟

الإجابة عليه

نقول إنه أيضاً تأثر ببلاغة القرآن وتهديداته،حتى أنه أخذ حفنة من تراب فسجد عليه.

يرد على هذا إعتراض

لما ذا لم يسجد وأخذ تراباً فسجد عليه؟

الإجابة عليه

إنه كان شيخاً كبيراً ولم يستطع السجدة على الأرض.

يرد عليه إعتراض

لما استطاع أخذ التراب من الأرض فكيف لم يستطع السجدة عليها.

الإجابة عليه

يمكن في الإجابة عليه أنه ورد في حديث مخرمة بن نوفل حيث قال "لما أظهر رسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أسلم أهل مكة كلهم وذلك قبل أن تفرض الصلوة حتى أن كان ليقرأ السجدة فيسجدون حتى ما يستطيع بعضهم أن يسجد من الزحام" قال شيخنا زين الدين ولا يصح، ففي إسناده عبد الله بن لهيعة[35]

يفهم من هذا أن الشيخ الكبير لم يسجد على الأرض من الزحام ولكنه استطاع أخذ التراب من الأرض فسجد عليه،والله أعلم.

11 أن يقال في سبب سجود المشركين, أنهم سجدوا موافقة الجماعة، والشخص إذا كان في جماعة يندفع إلى موافقتها من غير ما يشعره، ولو كان الأمر على خلاف ما يهوي ويحب وهذا أمر مشاهد، وفي علم النفس ما يؤيده[36]

12 أنه يمكن أن يكون سجودهم حين أسلموا كلهم في أوائل حالهم فقد أخرج الحافظ رحمه الله عن الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أظهر الإسلام أسلم أهل مكة حتى أنه كان يقرأ السجدة فيسجدون فلا يقدر بعضهم أن يسجد من الزحام حتى قدم رؤساء قريش الوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهما وكانوا بالطائف فرجعوا وقالوا: تدعون دين آبائكم, فهذا وإن نظر فيه الحافظ لكنه يدل على أنهم أسلموا في أول أمرهم ثم ارتدوا بعد رجوع صناديد الكفار إليهم وحينئذ لابأس بحمل سجودهم إذ ذلك[37]

ترد الشبهة على هذا القول

فإن قيل: فلم وصفهم في الرويات بالشرك كما في الروايات وسجد معه المشركون.

يقال في الإجابة عليها

لأنهم وإن كانوا مسلمين عند السجود إلا أنهم لما صاروا مرتدين حين الحكاية صح وصفهم به بإعتبار الحالة الراهنة, وإنما العبرة للخواتيم[38]

13 أن الشاه ولي الله حقق أنهم طاوعوه لكونهم مقهورين فيها لسجود النبي صلى الله عليه وسلم، يقول مولانا أنور شاه الكشميري: وهو على حد فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ[39] أي كأنهم دهشوا من معجزته وغلبوا من شوكتها حتى خرجوا عن طوعهم ولم يبق لهم سبيل إلا إلى السجود فسجدوا خارين على جباههم قائلين فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ[40] ويؤيده ما روى البزار بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنده سورة النجم، فلما بلغ السجدة سجد وسجدنا معه وسجدت الدواة والقلم وعند الدارقطني الجن والإنس والشجر، فإن التعرض إلى سجدة الجمادات يدل على ندرة نفيها فإن سجودها غريب جداً فذكره لغرابته وإذن صرفه إلى السجود المعهود بعيد جداً.(41)

14 أنهم سجدوا حينما سمعوا مدح طواغيتهم وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجدوا. وهذا السبب على الرأي الأول الذين يقولون بصحة قصة الغرانيق[42]

هذه هي الأسباب التي وصلنا إليها خلال قرأتنا للكتب المختلفة المتعلقة بالموضوع.

لا نتجرأ على الكلام في سند البخاري للأسباب الآتية:

أولاً: أن رواية البخاري تعرضت لسجود المشركين مع المسلمين فقط, واتفق العلماء على هذا.

ثانياً: أن البخاري لم يتعرض لقصة الغرانيق حتى نجد الفرصة في الكلام على البخاري.

ثالثاً: أن الأمة تلقت الكتابين بالقبول.

رابعاً: أننا لستنا بأهل للكلام على سند البخاري.

نتائج البحث

وصلنا خلال بحثنا عن قصة الغرانيق وأسباب سجود المشركين مع المسلمين إلى النتائج الآتية:

1 أن العلماء اختلفوا في تصحيح قصة الغرانيق بعضهم يقولون بصحتها مطلقاً وبعضهم يبطلونها مطلقاً وبعضهم يقولون بالمنع والتسليم.

2 أن عدد المبطلين أكثر من المسلمين بها مطلقاً ومن القائلين بالمنع والتسليم بها.

3 أن سبب سجود المشركين عند القائلين بصحة القصة واضح.

4 أن سبب سجود المشركين مع المسلمين عند القائلين ببطلانها متعدد تعرض العلماء في كتبهم لهذه الأسباب كما ذكرتها بالتفصيل.

5 أن كتب الصحاح لم تتعرّض لقصة الغرانيق.

6 أن البخاري ومسلم كلاهما تعرضا لسجدة المشركين مع المسلمين ولم يتعرضا لقصة الغرانيق.

7 أن جمهور العلماء والمحققين رفضوا قصة الغرانيق بشدة ورفضاً مطلقاً.

8 أن المفسرين الذين فسروا القرآن بالأردية اقتدوا جمهور العلماء في رفض قصة الغرانيق.

9 أن أعداء الدين يجعلون قصة الغرانيق وسيلة للهجوم على الدين وعلى الشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

10 أن جمهور العلماء رفضوا قصة الغرانيق لضعف الروايات التي وردت في القصة وجعلوها من وضع الزنادقة.

11 أن البعض من العلماء أبطل القصة نظراً إلى سياق وسباق الآية ومن التاريخ والواقع. ومن الوقوع الفصل الكبير بين القصة في سورة النجم وبين التهديد له صلى الله عليه وسلم وبين نسخ تلك الكلمات بعد مدة طويلة[43]

الهوامش والمصادر

[1] الغرانيق: جمع غرنوق وغرانق: وهو طائر مالئ أبيض طويل الساق جميل المنظر له قَنَزَعة ذهبية اللون, والمراد بالغرانيق هنا الأصنام وهي في الأصل الذكور من طيور الماء واحدها غرنوق وغرينق, سمي به لبياضه, وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. أنظر المعجم الوسيط قام بإخراج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس وزملاؤه مجمع اللغة العربية إنتشارات ناصر خسرو طهران،إيران.ط2،ص2/ 65ـأنظر حاشية الدخيل في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد.مطبعة الحضارة العربية.جامعة الأزهر كلية أصول الدين بالقاهرة سنة 1401ه الموافق 1980م،ص2/ 43

[2] النجم:1/53

[3] النجم:19/53ـ20

[4] أنظر حاشية صفوة التفاسير لمحمد على الصابوني دار القرآن الكريم بيروت. ط: الأولى سنة 1401ه،1981م القسم التاسع ص 43

[5] النجم:20/53

[6] جامع البيان في تفسير القرآن للشيخ السيد معين محمد بن عبد الرحمن الحَسني الحُسيني الإيجي الشافعي(732هـ894ه) دار نشر الكتب الإسلامية لاهور, باكستان. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ناشران قرأن مجيد وإسلامي كتب D438 كاردن إيست نزد لسبيله جوك كراتشي5 باكستان،ص1ـ2/52ـ53

[7] أنظر تفهيم القرآن للسيد أبي الأعلى المودودي إدارة ترجمان القرآن لاهور. ط:1982م إلى ط

14 سنة 1994م،ص3/ 240 أنظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة. ط: 1402هـ-1982م،ص 442 أنظر هذه الروايات بألفاظ المختلفة في "جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دارالمعرفة بيروت-لبنان سنة 1400هـ – 1980م،ص17-19/ 131-133-أنظر التفسير المظهري للعلامة قاضي ثناء الله باني بتي. بلوجستان بُك دبو مسجد رود كوئته،ص6/338-340

[8] الحج:52/22

[9] أنظر فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكاني وفاته بصنعاء 1250هـ. الطبعة الخامسة, ط: دارالمعرفة بيروت لبنان،ص3/462-أنظر القرآن الكريم مع الترجمة والتفسير لمولانا عبد الماجد دريا آبادي. تاج كمبني لميتد لاهور كراتشي،ص4/688أنظر التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي دار التفسير القاهرة. ط: سنة 1400هـ-1980م،ص17/67-69-أنظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر بيروت – لبناني. دار الفكر دمشق. الطبعة الأولى 1411هـ -1991م،ص17-18/ 248-250 أنظر ترجمان القرآن الكريم بلطائف البيان (أردو)ص6/ 778أنظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي, دار الفكر بيروت. الطبعة الثانية سنة 1398هـ-1978م مجلد5،ص12/ 39أنظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم للأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري. رقم 171 ط: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة 1350هـ،ص11/ 39-40أنظر تدبر قرآن لمولانا أمين أحسن إصلاحي فاران فاونديشن باكستان. سنة 1402هـ-1982م،ص4/408أنظر معارف القرآن للمفتي محمد شفيع العثماني إدارة المعارف كراتشي نمبر 14 سنة 1400هـ -1900م ج 6 ص 277أنظر زاد المنير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ولد 508هـ توفي 598هـ. المكتب الإسلام دمشق بيروت. الطبعة الأولى 1385هـ-1965م،ص5/441

[10] أنظر عمدة القارئ للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى 755هـ. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،ص7,8/100-101

[11] أنظر تفهيم القرآن،ص3/240-241 أنظر القرآن الكريم وبهامشه قرة العينين على تفسير الجلالين للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان المكتب الإسلامي, طبع على نفقة إدارة التراث الإسلامي بدولة قطر.الطبعة الثالثة،سنة 1408هـ-1988م،ص 441-442 أنظر التفسير الكبير للإمام محمد فخر الدين الرازي دار الفكر بيروت 1398هـ-1987م أنظر الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،ص168/6-169 دار الكاتب العربية للطباعة والنشر القاهرة سنة 1387هـ-1967م،ص82/12-83 أنظر مرقاة المفاتيح شرح مشكوة المصابيح لعلي بن سلطان محمد القارئ المتوفى 1014ه. مكتبة إمدادية ملتان،ص32/3-33 أنظر الفتوحات الإلهية لسيلمان بن عمر الشهير بالجمل 1204ه. ط: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر،ص173/1 أنظر فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكاني،ص462/3أنظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي مكتبة الغزالي دمشق مؤسسة مناهل العرفان بيروت. كتاب المساجد ومواضع الصلوة باب سجود التلاوة،ص75/2

[12] أنظر تفهيم القرآن،ص240/2-241 وتدبر قرآن،ص408/4 ومعارف القرآن،ص277/6 أنظر مواهب الرحمن لسيد أمير علي مليح آبادي المتوفى سنة 1919م رشيدية لميتد شاه عالم ماركيت لاهور،ص15-16/ 251 أنظر التفسير ضياء القرآن للشيخ كرم شاه الأزهري لاهور سنة 1399ه،ص223/3

[13] أنظر الجامع لأحكام القرآن،ص81/12أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لإبن حجر العسقلاني مكتبة الكليات الأزهرية طبعة جديدة سنة 1398هـ-1978م،ص41/18سورة الحج أنظر تفهيم القرآن،241/3أنظر جامع البيان في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الآلوسي المتوفى سنة 1270ه المكتبة إمدادية ملتان مغربي باكستان،ص 17/ 178أنظر القرآن الكريم وبهامشه قرة العينين على تفسير الجلالين. ص 4410-4426أنظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى 527ه دار الكتاب العربي بيروت, لبنان،164/3-165 أنظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي صاحب المكتبة العلمية شارع مدرسة البنات لاهور. الطبعة الأولى سنة 1398هـ-1977م،ص283/3

[14] أنظر الفتوحات الإلهية،ص175/3أنظر الجامع لأحكام القرآن،ص82/12-83 أنظركتاب الشفاء للقاضي عياض, مجلد 7،ص2/ 116-131 طبع الأستانة.أنظر محاسن التأويل، ص42/12

[15] أنظر القرآن الكريم وبهامشه قرة العينين على تفسير الجلالين.ص 441-442

[16] أنظر المنهاج شرح مسلم بن الحجاج, مجلد2،ص5/ 75وأنظر البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار الفكر ،بيروت.الطبعة الثانية سنة 1402هـ-1983م.ص8/ 171

[17] أنظر عمدة القارى شرح صحيح البخاري.مجلد10،ص203/19

[18] ايضاً

[19] أنظر المنهاج شرح مسلم بن الحجاج.مجلد2،ص5/ 75 وأنظر التفسير المنير للزحيلي،ص27,28 / 94-139-140 وأنظر البحر المحيط،ص8/ 171وأنظر الجامع لأحكام القرآن،ص81/12

[20] أنظر رواه النسائ في الصلوة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل أنظر تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل أبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير دار الفكر-أنظر التفسير المنير للزحيلي،ص27-28/94-139-140،بيروت لبنان،ص260/6

[21] أنظر الجامع لأحكام القرآن،ص81/12،أنظر التفسير الكبير،ص168/6أنظر جامع البيان في تفسير القرآن،ص132/17

[22] النجم:50/53-54

[23] فصلت:13/41

[24] فصلت:13/41

[25] فصلت:13/41

[26] النجم:8/53-9

[27] فصلت:13/41

[28] أنظر في ظلال القرآن،ص26-3418/30 , 3422أنظر في ظلال القرآن،ص226/5-227

[29] النجم:19/53-20

[30] النجم:21/53

[31] النجم:21/53

[32] النجم:21/53

[33] النجم:21/53

[34] النجم:21/53

[35] النجم:21/53

[36] النجم:21/53

[37] النجم:21/53

[38] النجم:21/53

[39] طه:70/20

[40] طه:70/20

[41] أنظر فيض الباري على صحيح البخاري،ص289/2

[42] طه:70/20

[43] طه:70/20